OPEN ACCESS
Al-Nasr
ISSN (Online): 2958-9398
ISSN (Print): 2959-1015
https://alnasrjournal.com/

Al-Nasr, Volume 3, Issue 1 (January-March 2024)

الاتجاه الاجتماعي في التفسير "الهام الرحمن" للشيخ عبيد الله السندي:

سورة الرعد أنموذجا

Social thinking of *Maulānā Ubaidullah Sindhī'* in the light of *Tafsīr Ilhām al-Raḥmān*: Surah Al-Raad as a Model and Example

Gul Wahid

Doctoral Candidate, Research Scholar, Faculty of Islamic Studies, Department of Tafseer, International Islamic University Islamabad

Dr. Taj Afsar

Deputy Dean, Professor, Department of Islamic Studies, International Islamic University Islamabad

Abstract

"Ilham al-Rahman" is an exegesis of Holy Quran that was dictated by Sheikh Ubaidullah al-Sindhi to his disciple Maulana Musa Jarullah, who was a Russian scholar. This exegesis is in Arabic language and it attempts at reading the scripture in social context. In exegesis the Holy Quran has been read in the light of social rules, that is why this exegesis covers all the major aspects of social life including politics, sociology and economics. Because of this relevance, many different revolutions have been mentioned at different places in this Tafseer. It has one basic quality that makes this work trustworthy knowledge, that being it's citing qur'anic verses and applying them in accordance to the historic period that this exegesis was attempted in. Furthermore, instead of reloading qur'anic

CC BY

words especially with mishaps and events, the citations have been kept general.

The reason or logic of this is that the Holy Quran is an eternal source of guidance for every human being till the day of judgement. And the aim of revealing the Holy Quran is to rectify the wrong and misleading traditions trends that are found in every age.

Moreover, this Tafseer has been written in the light of the rules of the first Islamic thinker of the subcontinent Imam Shah Waliullah. In it the five trustworthy knowledge sources or episteme are used and the usage of commonly understood words is regarded as a basic rule of knowing.

KeyWords: Social thinking, Maulānā Ubaidullah Sindhī', light of Tafsīr Ilhām al-Raḥmān

تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.وبعد:فإن القرآن الكريم كتاب هداية شامل يرشد الإنسان في كل مجال من مجالات الحياة، ويقدم له حلًا لجميع مشاكله وصعوباته الفردية والاجتماعية، وقد رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى القرآن الكريم لحل مشاكل الأمة.وبعده: سار على سنته صحابته والعلماء، فظهرت في مختلف العصور مئات التفاسير للقرآن الكريم بمختلف اللغات. وقد مرت هذه السلسلة التاريخية التطورية حتى وصلت إلى الإمام المجدد الشيخ عبيد الله السندي، الذي وضع قواعد وضوابط قرآنية لحل مسائل الأمة في ظل إشراف شيخ الهند مولانا محمود الحسن، وضوء أصول التفسير التي وضعها الإمام شاه ولي الله.

التعريف بالمؤلف ومكانته العلمية

ولد الشيخ عبيد الله السندي في عائلة الوثنيين في تاسع محرم سنة 1289هـ، الموافق 10 مارس 1872م يوم الجمعة قبل الفجر في بلدة سيالكوت، وقد توفي والده قبل ولادته بأربعة أشهر، وبعد وفاة أبيه ترعرع على يد جده، ثم بعد وفاة جده أخذته والدته في منزل جده لأمه، ثم شرع في حصول العلم فتعلم الخط والرياضيات والتاريخ وغيرها في مدرسة إنكليزية.واشتغل بها مدة، ثم سافر إلى ملتان ومنها إلى ديوبند وقرأ على أساتذة المدرسة بعض رسائل المنطق، ثم سافر إلى كانبور وقرأ على يد الشيخ

أحمد حسن الكانبوري، ثم رجع إلى ديوبند وأخذ الحديث عن العلامة محمود حسن الديوبندي وتفقه عليه.

خدماته لتحرير الوطن

قد رفع الشيخ صوته ضد الهيمنة الأجنبية على كل منصة، والتي تشمل إنشاء المؤسسات والرحلات الخارجية، فقام بإنشاء المؤسسات التالية منها:دار الرشاد، وجمعية الأنصار، ونظارة المعارف القرآنية، ومع هذا سافر إلى بلدان مختلفة بما في ذلك أفغانستان وروسيا وتركيا وكان غرض هذه الأسفار إعداد ملوك هذه البلاد لمساعدة مسلمي الهند،فسافر إلى كابل مختفياً متستراً حاملا رسالة الجهاد والثورة ثم سافر من كابل سنة 1341هـ مع زملائه إلى ماسكو بعد مروره ببخاراء وتاشقند، وأقام في ماسكو نحو تسعة أشهر ولقي بعض زعماء الحركة، وبعد يأسه من الروس غادر إلى تركيا وهناك رتب خطة للحكومة الحرة الهندية تقوم على الوفاق، وأشار فيها إلى خصائص النظام غير الرأسمالي للاقتصاد والحكومة في الهند، ومكث في أنقرة ثم في إستنبول ولقي عصمت باشا، ثم من هناك سافر إلى مكة المكرمة عن طريق إيطاليا، ومكث نحو خمس عشرة سنة في هذه البلدة الطيبة ودرس تفسير القرآن للراغبين والطالبين، وأملى هناك على بعض تلامذته تفسيره إلهام الرحمن، ثم عاد إلى وطنه ووصل إلى كراتشي، توفي الشيخ في 3 رمضان سنة 1343هـ/1944م، ودفن بجوار شيخه غلام محمد بقرية دين فور من توابع بهاولفور.[1]

ثناء العلماء عليه

لقد أثنى جمع كبير من العلماء على شخصيته الفريدة العالية واعترفوا بالخدمات الأكاديمية تحية كبيرة له، وننقل أقوال بعض أهل العلم في السطور التالية: 1 -الشيخ موسى جار الله: هو عالم روسي وقد أملا عليه الشيخ السندي التفسير إلهام الرحمن، يقول: لقد كان له بصيرة في علمه، وقد كان مجاهدا حقيقيا في عمله وحركته.[2]2 - الشيخ عبد الله خياط الخطيب وإمام الحرم الشريف: لقد كان متوازناً جداً في شخصيته وأخلاقه، وكان صاحب علم وفضل وشخصية سامية.[3]3 - الشيخ طاهر بانج بيري: كان ذكيًا وخبيرًا في العلوم المختلفة، لم أر أحدا مثله في العلم والذكاوة.[4]

التعريف ب التفسير الهام الرحمن

إن التفسير "إلهام الرحمن" من أمالي الشيخ عبيد الله السندي على تفسير القرآن باللغة العربية، وقد أملاه على تلميذه موسى جار الله العالم الروسي،وتوجد له ثلاثة نسخ:منها: نسخة في مكتبة حميد الله التابعة لمجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد، ونسخة في مكتبة الجامعة حيدر آباد، ونسخة أخرى بماليزيا.وقد ترجم هذا التفسير إلى اللغة الأردية من البقرة إلى التوبة،[5] ويعتمد هذا التفسير على تفسير القرآن الكريم على أسس فلسفة الإمام شاه ولي الله الدهلوي، ومن أهم مبادئ هذه الفلسفة علم

الاعتبار، والعلوم الخمس، وعموم الألفاظ ومعانيها.[6] التفسير لغة: الإيضاح والتبيين. وفي الاصطلاح: علم يبحث في عن القرآن المجيد من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية.[7]

تفاسير سورة الرعد

قوله تعالى: "وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يؤْمِنُونَ"[8] يعني كلما أنزل إليك أيها النبيّ، والذي يحقق الخلافة الباطنة هو حق ولابد منه وبدونه لن تتحقق غاية إقامة الحكومة الإسلامية.[9] قوله تعالى: "وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يؤْمِنُونَ" يعني الأغلبية لا تعرف قيمة القرآن الكريم ولاشأنه؛ لأنهم حين يرون أن النّبيّ صلى الله عليه وسلم يعلم القرآن الكريم والعمل به، ولا يقوم بعمل غير ذلك، والمتعلمون معظمهم من الفقراء والمستضعفين والعبيد، وليس فيهم مِن سادة القوم و أشرافهم،ورغم ذلك يقول النبيّ صلى الله عليه وسلم:[10] ((إنه يفتح بلاد كسرى و قيصر[11]))، هذا شيء لا يعرفه الكفار، لكنّ المظلومين يجب أن يعرفوا قبل هذه الثورة العظيمة أن سيتشكل نظام وقانون عام لا فرق فيه بين الصغير والكبير كلهم سواسية كأسنان المشط، وهنا يمكن أن نقول إن ما قام به النبيّ صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة، يمكن حصره بداية في أمرين: الأول التعليم. والثاني التنظيم.والتلميذ يركّز على أنه لا إله إلا الله، ولا مالك في الكون إلا هو، وهذه فكرة ثورية قوية أيّما قوة، لا يعلمه أكثر من لا يعرفون النظام المَلَكي، ويجب أن تنفّذَ ما أمرك به ربّك.[12]

قوله تعالى: "اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ ترَوْنهَا ثُمَّ اسْتوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ"[13] تعني الآية بأن الله قد أودع في السماوات قوة الجذب والمدافعة، والله تعالى إذا أمر شيئا سيظل كما أمر قائما أو قاعدا، وهكذا السماوات فالله تعالى لا يأمر شيئا بأمر إلا ويخلق فيه قوة وفق ذلك.فالقوة الداخلية يعرفها علماء الطبعية أما العلاقة مع المركز فيعرفها العلماء الربانيون وهاتان الجماعتان من العلماء ليستا مختلفتين بل صورتان لعملة واحدة، فإذا ضعفت القوة المركزية فإنهما تتعارضان أو تختلفان وهذا الخلاف مرض يلحق الإنسانية مؤقتا. مثاله: أن الصرفيين والنحويين كلهم علماء اللغة ولكن قد يختلفون، وبصفة عامة كل الطاقات والقوى ترجع إلى مركز واحد وهو العرش، وقد أشار إليه ربنا جلّ وعلا حيث قال: "ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ" ولا يفهم الإنسان من معنى هذه الآية إلا بقدر ما أودع الله تعالى في هذه الخلائق من القوى؛ لكن الإنسان لو تفكر في خلقه لوصل إلى الغاية والنتيجة ثم في الحيوانات ثم في النباتات ثم في المعدنيات، ثم السير إلى السماويات وعادة يذكر بعد المعدنيات العناصر لكننا تركنا،

والعناصر ليست أربعة كما يراها الناس، لكن العناصر لا تعمل بوحدها، مادامت لم تؤثر فيه القوة السماوية، مثل نور الكواكب المستفاد من نور الشمس، فهذه القوى في البداية تؤثر في العناصر ثم العناصر تؤثر في غيرها، فعلم منها أن الإنسان لا يمكن له أن يتصور كنه الرب جل وعلا بدون مظهر العرش، وأكبر ما يمكن أن يتصور الإنسان لرؤية الرب جل جلاله هو العرش،ولرؤية الله تعالى يمكن في

ذهن الإنسان كيفيتان: إحداهما وَهم لا حقيقة فيه، فالإنسان يتصور ويخاف وهذه الكيفية توجد على السواء بداية من لدن الطفل الصغير إلى أكبر الحكماء، حيث يتصور الإنسان في الكيفية شيئا لم يره ولم يشاهده رغم أن الشيء ليس له وجود في الخارج، وكثير من الناس يستمتعون بهذا التصور ويعتقدون أن تصور الله جل وعلا هو نفس هذا التصور، لكن الحكماء يرون أن هذه فكرة شيطانية خاطئة، تخالف الفطرة الإنسانية لكن مع ذلك الكثيرين من ناقصي العقل والخلقة يقعون في شباك هذا التصور ـأما التصور الثاني الذي يتولد في ذهن الإنسان والذي يوجد حقيقة في الخارج، هو كل ما يراه الإنسان من الموجودات التي ترتسم صورها في الذهن، وعند الابتعاد منها تبقى تلك الصور عالقة في الذهن، وأثرها مثل أثر الأشياء الأولى التي ذكرت، وللتمييز بين هذين التصورين يسميهم الحكماء باسمين مختلفين، فالأول عندهم اختراع الذهن. والثاني عندهم انتزاع الذهن. يعني إن الإنسان ينتزع من وجوده مفهوما يتضمن أن ربه وخالقه هو الله، والإنسان الذي ليس عنده هذا التصور هو بمثابة الأكمه (الذي وُلِد أعمى)، مستحيل أن يحصل على تصور الله جل جلاله.فالإنسان حين يبسط نفسه فإنه ينمو ويزداد حتى ينتهي إلى العرش، فينتزع ربه من العرش ولا يمكن للعقل أن يتصور فوق هذا، ولا يمكن أن يوسع مفهوم الرب أكثر، كما أن الحقيقة الانتزاعية تساوي منشأ انتزاعه كذلك العبد حينما يتصور الله تعالى فإن تصوره هذا لا يزداد على العرش، فلو ظللنا لا نربط تصورنا بمنشأ الانتزاع فذلك التصور هو اختراعي ووهمي محض، وللحصول على معرفة الله لابد للإنسان أن يعتبر مركز الأرضين والسموات هو العرش، والله تعالى هو رب العرش، وللمعرفة الدقيقة لهذه المسألة لابد من تجليات وذلك من المباحث الإشراقية التي توجد مفصلة في كتب الحكماء والصوفية.[14]قوله تعالى: "وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ" إن الله تعالى قد أودع في العرش من القوة والطاقة ما يمكن أن يمُدَّ بفضله كل الكائنات من الشمس والقمر والبشر والحيوانات حسب حاجتهم، وهذه الكائنات ستكون مرتبطة بالعرش مسخرة له.[15]

قوله تعالى: "كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى" الذي نراه اليوم من التطور في حياة الإنسان سرُّه أن النظام الذي نشاهده تَكوَّن تدريجيا، ولم يحدث دفعة واحدة يسير إلى النهاية، وما دمنا قد علمنا أن هذه الأشياء حدثتْ تدريجيا، فلابد من يوم لم تكن فيه هذه الأشياء ولابد من يوم ستنعدم فيه هذه الأشياء،وقد ثبت في الفلسفة العليا أنه ما من شيء له بداية لابد له من نهاية، والذي تناهى في جانب لا يمكن أن يكون غير متناه في جانب آخر، فقد اتضح أن كل شيء سينتهي في مدته المحدودة، وهو معنى قوله تعالى: "كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى".والمتكلمون يعتقدون أن روح الإنسان حادثة ويعتقدون أيضا أنها غير متناهية، فهذه أقوال متناقضة ينقض بعضها بعضا، لأن الشيء الواحد كيف يمكن أن يكون متناهيا وغير متناه.ولذلك شرح المتكلمين للعقائد غير صحيح لدى الحكماء، وفي جزاء ذلك وقع الناس في شُبَه وهم يقرؤونها حفاظا على إيمانهم، والعامة كما تنفعهم موعظة الواعظين كذلك تنفعهم أبحاث

المتكلمين على السواء، لكن من ناحية الشرع ليس واجبا عليهم العمل بقواعد المتكلمين، ثم إن المتكلمين لا يستطيعون البحث عن الروح الإنسانية؛ولأجل ذلك أخرجوا كل ما يتعلق بالآخرة من العقائد من العقليات، وسموها بالسمعيات، وللمعرفة الكاملة بهذه المسألة يجب قراءة كتاب الإمام الغزالي (إحياء العلوم) أو كتب الإمام ولي الله.[16]قوله تعالى: "يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ"[17] يعني إن العرش العظيم هو مركز التدبير الإلهي، والله يفصل الآيات لأولي العقل من البشر ليزدادوا عقلا و فهما و حكمة، والغرض من وراء تفصيل هذه العقائد أن يعرف الإنسان أنه من الممكن ملاقاة الرب عن طريق التجليات،وحين يؤمن الإنسان هذا الإيمان الراسخ بأنه سيواجه ربه فحينئذ ولا يرى الفضل لغير الله، وإنه لا يستعين بغير الله من الإنس والجن والملائكة، ولا يرى لأحد الاستقلال بالذات لافي الدنيا ولا في الآخرة، وفي هذه المرحلة يصبح الإنسان صاحب التغيير والثورة،

أما الذين ليس لهم معرفة فهم ينكرون هذا كله وذلك لأمرين: لأجل الجهل أو لعدم توفر الأستاذ لديه، فهو يعيش دائما في حالة من الشك، أو كالأعمى الذي لا يبصر، فهو ناقص الفطرة منذ وُلِد، ولا يمكن أن يكون الإنسان صاحب تغيير وثورة مادام هو يعتقد أن خالق فعله أو قوله هو غير الله من الإنس والملائكة، وأرى أن هؤلاء لو وجدوا معلِّما يعلِّمُهم معرفة الله لكانوا من أحسن الناس إسلاما، وبالعكس لو ظلوا يشكون لكانوا أخطر على الإنسانية من الشيطان،هذا ونقول إن من يقرأ القرآن الكريم على منهج الإمام الشاه ولي الله فإنه سينال معرفة الله جل جلاله، وسيقضي على الظلم ويحدث ثورة ولذلك نقول إن القرآن معجزة إلهية من كل ناحية، كما لا يمكن للإنسان أن يصلح إنسانا أو يهديه فإن هذا الأمر خارج عن قدرة البشر ولكن من رافقته رحمة إلهية أو حالفه التوفيق فإنه يستطيع ذلك بعون الله -جل جلاله-.[18]قوله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا" [19] يقول الإمام ولي الله: إن الله خلق هذه الأرض وأودع فيها كل حوائج البشر، فكلما تطور الإنسان؛ فإنه يجد حوائجه في هذه الأرض متجددة، ويسهل فهم ذلك على من يتفكر في ذلك بأن لابد لهذا الكون والإنسان من خالق، ونظام وإلا فكيف يحدث هكذا وليس ذلك مرة بل باستمرار يجد الإنسان حاجته من هذه الأرض دون انقطاع، وهذا لا يمكن صدقه بل وراء ذلك نظام ومدبِّر لكل ذلك، ومركز ذلك هو العرش. وفي التفهيمات الإلهية[20]: معناه عندنا أن الأرض وحدها لا يستقيم لمصالحهم فلا يمكن أن يصنع منها القلاع والحصون والقصور المستحكمة إلا بأجزاء الجبل وإذا حاق بهم السيل أو خافوا العدو فليس لهم ملجأ إلا الجبال أن الأرض كانت تميد بهم أي تضرب ولا ترسوا لمصالحهم، وقال والجبال أوتادا فكما لا ترسوا الخيم إلا بالأوتاد فكذلك لا تثبت الأرض إلا بالجبال،وأول ما يجنيه الإنسان من نباتات الأرض هي الثمرات: كالتمر والعنب والمانجو وما إلى ذلك، وثانيا ما يزرعه الإنسان بيده ثم يحصده من أنواع الأطعمة ولكنه في المرحلة الثانوية ، ولو تدبرنا في الثمرات فإننا ندرك أن هناك ذكرا و أنثى بين الأشجار، و يتم بين الذكر والأنثى تلقيح للإثمار تحت النظام الإلهي، و إذا لم يتم

فلا يأتي الثمر،و هذا كله من أجل الإنسان والحيوان، فالإنسان الذي يتفكر في طعامه كيف يتهيأ له ليأكله، لن يقول هذا كله يحدث صُدفة، بل سيعتبر ذلك من آيات قدرة الله البينات.[21]

قوله تعالى: "إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ"[22] وعندنا تفسير هذه الآية: إنما أنت منذر وهاد لكل قوم، فالعموم يكون في الأقوام، وعملك التنبيه على الخطيئة، ثم الإهداء إلى الصراط المستقيم. وعلم من هذا: أنه إذا لم يستطع المعلم والطبيب والنبي القيام بعملهم، فقد ثبت كذبهم.وإذا كان العلماء والأطباء قادرين على أداء عملهم فهم صحيحون في ادعائهم، ثم بعد ذلك أعيد السؤال بقوله تعالى: "وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ" وجوابه بقوله "قُلْ اِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَّشَآء" [23] معناه: إن الهداية تعطى لمن لجأ إلى الله.وتفسير هذه الهداية من قوله تعالى: "أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ"إلى قوله تعالى: "اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاء وَيَقْدِرُ وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ.[24] ثم هنا اعتراض: هو أن الحكيم كالنبي في الهداية إلى الصراط المستقيم فما الفرق بينهما؟ وكذلك ما هي النبوة وما هو أصولها؟ والجواب أن النبوة هي مظهر علم الله وآلته.[25]قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ"[26] هذه الآية تشير إلى أن الحالة الأولى هي معده للحالة الأخيرة، وهذه تقتضي أن استعداد الإنسان إذا تغيرت، تغيرت معه قضاء الله حسب استعداده.[27]قوله تعالى: "وَإِذا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ" هذه الآية تدل على أن الله تعالى متصرف، ووارث كل شيء، فله أن يعاقب القوم على ظلمهم وله ان يعفو عند رجوعهم إلى الله تعالى، ولا يجوز لأحد أن يرد تصرفات الله تعالى.[28]

قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ"[29] هذه الآية تشير إلى أن الثورة الإنسانية مثل الثورة الكونية، عندما تأتي الثورة تمطر وتصبح المنطقة غير المخضرة مخضرة، فالثورة الإنسانية تشبه بالثورة الكونية،وتوضيحه: أن الماء يتبخر في الهوى، ويتشكل بشكل السحاب، ويمطر الماء، وهذا العمل يمكن بسبب حرارة الأرض، ويتم حصاد المحاصيل منها، هكذا أفعال الإنسان يتصعد بحظيرة القدس بواسطة عالم المثال وهناك نقاش، وفي نتيجة هذا توضع قوانين جديدة لإصلاح البشرية، وكذا الجماعة تشبه استبداد الحكومة، وعندما تعطل القوى البشرية فهي تقتضي وضع قانون جديد مثل الأرض الميتة تقتضي الماء.[30]قوله تعالى: "وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ"[31] الرعد ينشأ باحتكاك الغمام، وينتج البرق بحركتها، والبرق إذا انتهت صارت صاعقه، وتحرق الأجسام التي تنزل عليها، والرعد وما يتبعها من الأشياء القاتلة والحارقة هي نتيجة هذا البخار الذي تصل الى الغلاف الجوي بسبب حرارة الأرض،وعندما يتصل الأعمال الوحشية للإنسان إلى حظيرة القدس وضع هناك قانون لإهلاك هؤلاء الظلمة، وهذا القانون يمزج هناك بالقوى الروحانية،فيهلك هؤلاء الظلمة؛ لأجل هذا القانون كما في ثورة كونية ترش المياه في منطقة منكوبة بالمجاعة، وتستقر المناطق، وتهلك الجراثيم، وتقيم بها حياة الإنسان والحيوان والنبات

هكذا يكون انقلاب الإنسانية بصورة إهلاك هؤلاء الظلمة، وفي صورة تطوير العلم والرحمة.[32]

قوله تعالى: "وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ"[33] وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال، والمطر يمطر بأمر الله فقط ليس معه شريك فيه من الإنسان، والملك؛ لأن في المطر القوى العظمى يجمعها الله فقط بقدرته وإرادته.[34]قوله تعالى: "لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ" [35] الثورة تقتضي كثيرا من الأشياء، وهذه الأشياء هي أساسيات الثورة لكن بعضها مهم جدا وهي الفكر والمعرفة، ومن له معرفة وفكر كامل يتقرب إلى الله، ويبعد عن غيره ويثبت إيمانه على الله، الإنسان إذا يتأذى يرغب إلى القوي، ويضع أمامه ألمه الخاص ولا يمكن لأحد أن يرده،وهذا القوي يمكن أن يكون ملكا، ويمكن أن يكون رحيما، فيرحمه، ويتوجه إلى هذا الإنسان ويحمده، لكن المشكلة هي أن الإنسان كيف يترك الله ويتوجه إلى غير الله، والسبب لهذا العلماء الجهال الذين ليس لهم رسوخ في العلم، مثل الجهلة من الحكماء الذين يقولون: إن الله لا يعلم الجزئيات بالبداهة فكأنهم يجبرون الناس على الذهاب الى غير الله.[36] قوله تعالى: "وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ" مثال من يدعو غير الله كمن ادعى الماء ليدخل في فيه، وهذا لا يمكن هكذا معبودهم الباطلة لا يستطيعون الإجابة، "وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ"[37] والأغبياء يضيعون قوتهم، فلا يجدون غير الظلال. قوله تعالى: ﴿"وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ"﴾[38] في هذه الآية إشارة إلى قدرة الله: بأن كل شيء يسجد أمام الله طوعا كان أو كرها، ومقابلوهم الذين لا يؤمنون بقرب الله سوف يدركون بخطئهم، ويراد بالسجدة أن يسقط ظل الإنسان على الأرض، وهذا الظل يختلف حسب اختلاف الأوقات، وهو يدل على قدرته فإذا كان كذلك فلا يجوز لأحد أن يسجد لغير الله.قوله تعالى: "وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ" الغرض من هذه الآية إفهام عبدة الأوثان الذين يخلقون صورة محبوبهم ويعتبرونه أصلا، ويبجلون ويسخطون على إهانته، وينبغي أن يضاف أن الشمس تأخذ صورتك عندما تسجد لله.[39]

قوله تعالى: "أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ".[40] قد بين الله في هذه الآية مثالًا للحق والباطل، مثال الحق: الشيء الذي يبقى مثل الماء، ومثال الباطل: الشيء الذي يفني مثل الزبد. كما يكون بعد المطر سيلان ويوجد فوقه زبد، والزبد يكون جفاء والماء يبقى.وكذلك وضع الذهب في النار يذهب زبده، ويبقى الذهب الخالص،هكذا يكون الحق باقيا والباطل منتفيا. المراد من الزبد الباطل، والمراد من الماء والذهب الخالص هو الحق. وبنفس الطريقة هناك ثورة تشريعية التي تمطر فيها ماء الشريعة من الحظيرة القدس، والناس يتعلمونه ويقرؤنه، ثم يختلط هذا بأوساخ أفعال الإنسان فيرتفع القوة الباطلة، ثم تمحو ويبقى الحق دائما لإفادة الناس، ثم علم من هذه الآية أيضا: أن

الرسول كالسحاب في الإمطار، والقانون الخارج منه كالماء، ولقائه مع أفعال الناس القذرة، وارتفاع الطاغوت ثم جفائه بمنزلة الزبد، وبقاء الحق بمنزلة الماء النقي، ومن يؤمن بأن الله سيده ومالكه فإنه يعتقد أن هذه الثورة من عند الله فيعتقد بان الرسول منذر.[41]قوله تعالى: "أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ" [42] هذه الآية تشير إلى أن للرسول مهمتان: أحدهما: كونه منذرا فقد تم البحث عنه وأما كونه هاديا فهو في درجة الخلافة الباطنة حيث تدرس فيها العلم والأخلاق بشكل جماعي التي تبتني عليها الخلافة الظاهرة؛

من أجل ذلك استكمال الأخلاق مهم جدا قبل الانقلاب، تنظيم المجتمع البشري يقوم على أصول العقل كشف الحقائق على أعلى مستوى في تطور العقل، والعقل في المستوى الثاني، والحواس في المستوى الثالث، والطبقة الوسطى تعتمد بأصول العقل، والالتزام بمصطلحاتها مهم جدا. هذه الآية تنبه على أن التربية بالعلم توقظ مادة نوم الإنسان، ولا تخلق فيها شيئا جديدا؛من أجل هذا السبب يذكر لفظ التذكير في القرآن حيث يذكر التعليم، هذا بمنزلة تذكير الإنسان ما نسيه، وخلاصة الآية أنه ينبغي أن تكون الدعوة قبل الانقلاب، ويجب أن تستند هذه الدعوة على الأصول العامة. [43]قوله تعالى: "الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ" [44] معنى هذه الآية أن نعمل، وأن نرجح العمل على حياتنا ومن رجح حياته على العمل لا يمكنه الثورة، ومن رجح العمل على حياته يؤجر بصورة الجنة في الآخرة، فأي ضرورة داعية إلى رجوع قهقرى، ومن المشاكل اليومية بأننا نفهم القرآن على أساس العقل، فنخطأ في فهم المعنى الصحيح. قوله تعالى: "وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ" [45] معنى هذه الآية أن الله تعالى قد ربط أطراف الإنسان بحيث يشتغل كل عضو في خدمة العضو الآخر؛ ومن أجل هذا يتصل جميع أعضاء البدن، وبنفس الطريقة انضم الله تعالى الأسرة وسبب انضمام الأولاد الوالدان، وهكذا انضم الأسرة مع الأسرة الأخرى. هكذا اتحدت قبيلة مع قبيلة أخرى وأمة بأمة أخرى، وبنفس الطريقة ثبت اتصال الإنسانية، وهذه خاصة الإنسانية، وبهذا تقوى الإنسانية، وقد أمر الله تعالى بذلك، وهي أول درجة من درجات الحكومة القومية، هذه الآية تشتمل على ثلاثة أجزاء: أولا: المراد من أمر الاتصال هو الحب، ثانيا: يحب الناس هذا الاتصال حسب قواعد العقل، وهذا معنى قوله يخشون ربهم، وهي إشارة إلى أن هذا هو سبب التقوى، ثالثا: يخافون سوء الحساب وهو إشارة إلى المتقين الذين لا يجعلون هذا الاتصال سببا للظلم.وعلم من هذا أن الدرجة الأولى هي الخلافة الباطنة، ثم يصل منه الإنسان إلى الخلافة الظاهرة الخارجية، وخلاصة هذا أن لا تجعلوا القرابة سببا للظلم بل اجعلوها سببا للعدل والإنصاف. [46]

قوله تعالى: "وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ" [47] هذه الآية تشير إلى عدة أمور: أولها: الذين ينقضون عهد الله.ثانيها: ويقطعون ما أمر الله.وثالثها: ويفسدون في الأرض، والمراد بالفساد هو نشر الاضطراب في

الأرض، وإحداث الفرقة بين الناس، فيحرمون هؤلاء الناس من رحمة الله، ويهزمون دائما.وهناك أناس ما عدا ذلك هدفهم العيش الدنيوي فقط يحبون الأغنياء، ويكرهون الفقراء، جمع المال وحده سبب الراحة في الحياة الدنيوية فقط، وإذا جمعت وصرفت في مصارف الخير فهو سبب الراحة في الدنيا والآخرة، وهذه الآية هي آخر آية لهذا البرنامج.[48] قوله تعالى: "كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ" [49] يقول المفسر: إن بعثك ليس بشيء جديد بل مر من قبلك الأنبياء، وقد أرسلناك كي تعلم أمتك طرق الأمم السابقة، ومن ذلك علم: أن هذا البرنامج ليس وطنيا بل دوليا.

قوله تعالى: "أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا" [50] معنى هذه الآية: أنه يجب على المؤمنين أن يئسوا عن إيمان أهل العالم كلهم يعني لا يمكن أن يدخل جميع أهل العالم في الإسلام، ولا يمكن هذا في هذا العالم بل يكون في العالم الآخر، وما عرف أنه سيأتي زمان يصبح أهل الدنيا كلهم مؤمنين، وهذا منسوب إلى زمان المهدي أو المسيح غير صحيح، بل المراد أنه ستقوم الحكومة المركزية للمسلمين تغلب على الأمة غير المسلمة.قوله تعالى: "حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ" حتى يأتي جيش المسلمين، ويسيطر على الكفار. وفي الحديث ((أنه التحقت المجاعة على أهل مكة حتى أتوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم للدعاء))[51]. قوله تعالى: "تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أو تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ" يقول المفسر: إذا كان المراد بالقارعة القوة العسكرية فلا يمكن أن تكون هذه الآيات مكية، فينبغي أن يقال: إن السورة كلها مدنية، وإن كانت السورة كلها مكية، فتستثنى منها هذه الآيات، فتكون مدنية.ولو افترض أن في القرآن تأثير تحريك الجبال أو قطع مسافة الأرض أو التحدث مع الموتى، فلا يؤمنون أيضا في هذه الحالة مع أنه فرض المحال،ولكن الناس الذين لا يعتبرون هذا الواجب محالا، فالطريق إلى هذا هو التأمل العميق بالقوى المدركة، فتظهر القوة الباطنة العميقة من الداخل، فحينئذ يمكن بها إدراك القوة الباطنة للقران الكريم، ويفعلون التفثقات لحصول هذه الدرجة، وبعد حصول هذا المقام يرون بأعينهم أحداثا كثيرة مثل رؤية القبر والجنة والنار، ويقطعون بها مسافة الأرض، وتكشف عليهم شؤن الآخرة.والشخص الذي يحافظ ذكره على نقطة خاصة يسمى بقطب، ولهذا اللفظ معان أخر من ناحية سياسية، وفي الفلسفة الإشراقية يراد منه الشخص الذي يركز أفكاره على نقطة واحدة، وقد ذكر ابن العربي في كتبه أن القطب على مئة أو خمسين نوعا التي تركز على آية واحدة. فعلى هذا يكون لكل آية قطب خاص، هناك جملة مشهورة [52] منسوبة إلى رسول الله صلى الله لكننا لا نسلم رفعه إلى الرسول بل يمكن أن يكون هو قول المحقق من الصحابة أو التابعين، وفي تاريخ الإسلام إن رهن مئة الأولى والثانية هو رهن الثورة مدته مئتا سنة، ثم بعد ذلك ظهرت الفلسفة العجمية الأجنبية في الإسلام، ففهموا القرآن والحديث بداية في ضوء تقليد العرب، ثم بعد ذلك شرحوا القرآن والحديث في ضوء التصوف الإسلامي، فكشفوا به أسرار القرآن وحكمة

مقطّعاته.

ومن هؤلاء الصوفية بشر الحافي[53] وسري السقطي[54] جنيد البغدادي،[55] وأبو يزيد البسطامي[56] قد استقروا أسس التصوف في الإسلام.قد ذكرنا عالما من آل الإمام ولي الله قد سأله نصراني: بأنكم تقولون العلوم كلها في القرآن فأين علم صناعة الذهب في القرآن، فأجاب بأنه قد ذكر الكيمياء في القرآن أكثر من الذهب، ثم قال: إن في القرآن آية تجعل الجهنمية صاحب جنة وهي قوله: لا إله إلا الله، وهذا الأثر أقوى من تغيير هذا الريف إلى الذهب، ثم قال له: إن ما قلت أيضا موجود في القرآن، فأخذ القطعة من الصلصال، وقرء عليه هذه الآية أعني لا إله إلا الله، تحولت هذا التراب إلى الذهب، وهذا يدل على أن الأصل هو القوة الداخلية الباطنية. فكلما زادت هذه القوة زادت مهارته في العلوم، وكلما ضعفت هذه القوة توجب الضعف في العلوم، الصوفيون الذين ذكرناهم جهدهم: أنهم حاولوا أن يتحولوا طرق الرياضة إسلامية، ولم يسمحوا أن يفوتوا الصلاة المفروضة، والتزموا عقائد جماعة المسلمين، وهكذا حولوا طرق الاجتهاد إسلاميه،مثاله: إن الفقهاء غيروا الحكمة المشائية إلى شكل أصول الفقه، وأظهروا الطريق لتحقيق الاكتشاف والإشراق، وهي تشتمل على المبادئ الإسلامية حتى لو لم يتحقق معنى الكشف يتحقق التقدم الأخلاقي، وهذا يسمى بالطريقة، وهي مصطلح أهل التصوف، وأهل الهند اختاروا الفلسفة الإشراقية في البداية، نشأت التصوف في خراسان، ثم وصل إلى الهند.ومن أجل هذا إن الصوفية والملوك لهم يد كبير في فتح الهند، الچشتية[57] هي أقدم طريقة من طرق التصوف في الهند، ثم جاءت السهروردية[58]، والقادرية[59] معا، ثم جاءت الطريقة النقشبندية[60] فيما بعد، وتوجد سلاسل هؤلاء الصوفية في شبه القارة الهندية، ومن بين هؤلاء الصوفية بعضهم الصالحون وبعضهم الدجالون أيضا، ويوجد فيهم من المجتهد إلى الدهرية حسب مراعاة الشريعة.[61]

قوله تعالى: "وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ"[62] يقول المفسر: وجود الكفار لازم في هذا الدنيا، ولا يمكن أن ينتهي وجودهم، ويفعلون فعلهم يعني مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك يضحكون على النبي وأصحابه،وطريقهم هذا ليس مع النبي فقط بل كان كذلك مع الأنبياء السابقين أيضا، والكافرون يمهلون من جانب الله تعالى حتى يفرغ الرسول من الخلافة الباطنة، ونشأ فيه قوة القتال. قوله: "ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ" وهذا بعد زمن موسى عليه السلام، وأما الأنبياء السابقون ففي زمنهم وقع العذاب من الله تعالى على مخالفيهم بعد تنظيمهم حتى لا يحتاج الرسول ومن تبعهم إلى الجهاد، وهذا يجب ان يتذكر أن القانون واحد، وهذا من الواجب الأولي للأنبياء أن يقوموا بعمل الخلافة الباطنة، ثم بعد بذل الجهد نشأت الجماعة الصغيرة فحينئذ يهلك الكفار بالموارد الطبيعية،وعند ما تصبح هذه الجماعة كبيرة فيهلك العدو بمعونة هذه الجماعة، وهذه الجماعة تقاتل العدو، فالأنبياء كلهم يشتركون في هذه المسألة على إهلاك العدو، يقول الأحمق: اتركوا الكفار فالله يهلكهم ولا حاجة إلى قلق، هؤلاء الناس لا يعرفون

طريق النبي صلى الله عليه وسلم[63].

قوله تعالى: "أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ"[64] الكفار يعتبرون نجاحهم في الاستهزاء بالأنبياء، وهم على يقين أنهم سيتغلبون على خصمهم، وهذا من مقتضيات طبيعتهم السيئة،مثاله: المريض يجد الأشياء الحلوة مرة، ويجد التراب لذيذة، وهؤلاء الناس فقدوا الحس لأجل اتباعهم الطريق الخطأ وأنهم يعتبرون استراجيتهم ناجحة بدعمهم الو همي وحججهم المضادة للعقل، ومن المهم لدعاة القرآن أن يبرروا دعوتهم بالحجج العقلية حتى لا يشتبه دعوتهم بدعوة الجهلة والمشركين؛ لأن بعض دعاة القرآن يشتبه دعوتهم بدعوة الجهلة والمشركين في كونه غير مدلل.

قوله تعالى: "أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ" هذه الآية تشير إلى أن أساس دعوة الله هو أن جوهر الذات داخل الإنسان يجب أن يطلب ربه، يعني أن يكون تابعا لربه، ثم يرى أن ما يعتقده الإنسان ويفعله إن كان صالحا فإنه ينال نتيجة صالحة، وإن كان سيئا ينال نتيجة سيئة، ويعتقد أن ربه يجازيه حتما في هذه الدنيا، وحينئذ يؤمن هذا الشخص إيمانا راسخا على الله القائم على كل نفس سيجزيه على ذلك.قوله تعالى: "وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ" هؤلاء الناس يلجؤون إلى الشركاء ليتجنبوا عن محاسبة الله لهم.قوله تعالى: "قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ" وإذا طلب منهم أسماء المشاركين فيقوم الهندوس بتسمية كريشنا، وآخرون بتسمية الرام، ويعتقدون أنهم يعينهم، ومسلمو السند يأخذون باسم پيران پير، وهؤلاء الأشخاص كانوا من صلحاء زمانهم، فهم أيضا واجهوا الصعوبات لكنهم لجأوا إلى الله تعالى في مشكلاتهم ومصائبهم، وما لجأوا إلى غير الله تعالى قط، فينبغي لنا ألا نجعلهم رابطة بيننا وبين ربنا.[65] قوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ"[66] هذه الآية تدل على أن انتقاص الأرض من جميع الجهات يراد منه غلبة الإسلام على الأرض، فيحاسب الناس حسب القانون الكلي، وكل ما هو يخالف هذا القانون ترده هذه الثورة. وقد كتب الإمام ولي الله فائدة تحت هذا في تفسيره فتح الرحمن: أن مجد الإسلام ينتشر ويزداد يوما فيوما في العرب وحدود دار الحرب تنقص، المفسرون كلهم يعتبرون هذه الآية مدنية، والمترجم يعتبره مكية، ويراد بضياع دار الحرب هو إسلام قبيلة عفار وجهينة والمدينة وقبائل اليمن، وقد ذكرنا هذا في بداية السورة[67]، واستشهدنا بمرجع فيوض الحرمين.[68] قوله تعالى: "وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ"[69] الكفار الذين مضوا من قبل صنعوا العديد من التدابير لرد الثورة لكن تدابيرهم قد انقلبت عليهم بنتائج عكسية؛ لأن إنجاح التدابير بيد الله تعالى، والكفار سيفهمون عند نجاح الثورة لمن تكون الدولة في النهاية، وكل هذا يتوقف على حكومة البلد.

وعندما نجحت الثورة على طريق الأنبياء فالنبي يعمل على طريقتهم حقا من غير تغيير، فالشخص الذي يؤمن بالكتب الإلهية يؤمن برسالة النبي صلى الله عليه بسرعة، فيرى حال النبي صلى الله عليه وسلم، ويقارنه بغيره من الأنبياء، ثم إذا قال جهلاء مكة أنت لست بمرسل، فقل لهم أن يسألوا أهل الكتاب لأن الرسول صلى الله عليه وسلم انضم أهل الكتاب في هذه الحركة العظيمة، هذا هو نتيجة الآية. [70]قوله تعالى: "وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ"[71] يقول الكفار إنك لست بمرسل، وهم يتحدثون عن غير دليل ولكن يتمون كلامهم. وينبغي أن تقول لهم: إن أعظم الشهادة هي شهادة الله، واليهود وأهل الكتاب وغيرهم أيضا يشهدون بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم حسب شهادة الكتب الأولى، فلك أن تصبر حتى يقضي الله لك بنجاح.يقول الإمام ولي الله في كتابه الفوز الكبير: إذا قال رجل هذه الآية نزلت فيّ يراد منه مصطلح الصحابة والمتقدمين أن مصداقه هو هذا الرجل فقط،[72] وإن كانت الآية نزلت قبله بزمن كثير، وهذا قد صار مصداقه فيما بعد، لكن مصطلح الصحابة تختلف عن مصطلح المتأخرين،وعند المتأخرين ينبغي أن تتنزل الآية قبله، ويصير مصداقه فيما بعد، ويقول هذه الآية نزلت عني، وهذا على عكس مصطلح الصحابة.

خلاصة بحث

على سبيل المثال هذه الآية مكية لكن عبد الله بن سلام[73] يقول: هذه الآية نزلت عني، وقد أسلم بالمدينة المنورة، فكم من مدة بين إسلامه وبين نزول هذه الآية، ثم هناك مثال حسب قاعدة قررها الإمام ولي الله، يقول الإمام ولي الله: السور المكية عديدة: بعضها قد ذكر فيها شهادة بني إسرائيل وكان عبد الله بن سلام يسمي نفسه مصداقا لهذه الآيات، وينبغي أن تكون هذه الآيات كلها مدنية وفقا لقاعدة المتأخرين. ومن أجل ذلك استثنى بعض المفسرين بعض الآيات من سورة لكن هذه الطريقة باطلة بداهة في بعض الأماكن مثل سورة الأحقاف، من أجل ذلك يلزم كل باحث أن يطيع كلام الإمام ولي الله رحمة الله عليه[74].

مراجع

[1] مولانا عبيد الله سندهی ،بر صغير ميں تجديد دين کی تاريخ ،اردو ترجمه مفتی عبدالخالق ازاد رائے پوری (لاہور:رحيميه مطبوعات 2016ء) ، 115 ۔

[2] تحرير کرده مولانا موسی جار الله، نقل کرده مولانا عبيد الله سندهی ،برصغير ميں تجديد دين کی تاريخ،130 ۔

[3] عبد الله بن عبد الغنی الخياط، لمحات من الماضی،الفصل الخامس،شخصيات لها أثرها في نفسي، (الرياض: دار الملك عبد العزيز،1425هـ – 2004م)، 340.

[4] مولانا محمدطيب طاہری، بقية الآثار من الحياة المستعار،(صوابی: مكتبة اليمان،دارالقرآن پنج پير)،55تا57 ـ

[5] مولاناعبيد الله سندهی ،إلهام الرحمن فی تفسير القرآن،(لاہور: مكتبه أوراق 2005ء)26 ـ

[6] مولاناعبيد الله سندهی، شاه ولی الله اور ان كا فلسفه، ترتيب وتدوين، پروفيسر محمد سرور سابق استاذ جامعه مليه دہلی،(لاہور:سندھ ساگر اكادمی)، ص86ـ

[7] الإمام شاه ولي الله الدهلوي المتوفى 1176هـ، الفوز الكبير في أصول التفسير تعريب وتعليق الشيخ سعيد أحمد البالن بوري، (كراتشي: مكتبة البشرى)، 9.

[8] الرعد 1:13.

[9] الشيخ عبيد الله السندي، إلهام الرحمن فی تفسير القرآن مخطوط، (نسخة حيدرآباد)، 74.

[10] لم أجد هذا الحديث بهذا اللفظ وإنما رواه مسلم في "صحيحه" عن ثوبان - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها، ومغاربها. لقد عبَّر النبي . صلى الله عليه وسلم . بالأحمر عن كنز قيصر، لأن الغالب عندهم كان الذهب، وبالأبيض عن كنز كسرى، لأن الغالب عندهم كان الفضة والجوهر.

مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح المسلم،كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1374هـ - 7955م)، رقم الحديث:2889.

[11] إن كسرى اسمه أبرويز هرمز بن أنو شروان، وهو الذي كان غلب الروم، القيصر وهو لقب ملك الروم.

محمد بن علي بن أحمد ت 783هـ، المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، المحقق: محمد عظيم الدين، (بيروت: عالم الكتب، 1405هـ-1985م)،67/2.

[12]الشيخ عبيد الله السندي، إلهام الرحمن في تفسير القرآن مخطوط،75.

[13] الرعد 2:13.

[14] الشيخ عبيد الله السندي، إلهام الرحمن في تفسير القرآن مخطوط،80.

[15] الشيخ عبيد الله السندي، إلهام الرحمن في تفسير القرآن مخطوط،80.

[16] الشيخ عبيد الله السندي، إلهام الرحمن في تفسير القرآن مخطوط،80.

[17] الرعد 2:13.

[18] الشيخ عبيد الله السندي، إلهام الرحمن في تفسير القرآن مخطوط،81.

[19] سورة الرعد 3:13.

[20] الإمام شاه ولي الله المحدث الدهلوي المتوفى:1762م، التفهيمات الإلهية، (الهند دابهيل: المجلس العلمي دابهيل برقي بريس 1355هـ-1936م) 110/2 .

[21] الشيخ عبيد الله السندي، إلهام الرحمن في تفسير القرآن مخطوط،82.

[22] الرعد 7:13.

[23] الرعد: 27:13.

[24] الرعد 13: 19-26.

[25] الشيخ عبيد الله السندي، إلهام الرحمن في تفسير القرآن مخطوط،86.

[26] الرعد 11:13.

[27] الشيخ عبيد الله السندي، إلهام الرحمن في تفسير القرآن مخطوط،86.

[28] الشيخ عبيد الله السندي، إلهام الرحمن في تفسير القرآن مخطوط، 86.

[29] الرعد 12:13.

[30] الشيخ عبيد الله السندي، إلهام الرحمن في تفسير القرآن مخطوط،88.

[31] سورة الرعد 13:13.

[32] الشيخ عبيد الله السندي، إلهام الرحمن في تفسير القرآن مخطوط،89.

[33] الرعد 13:13.

[34] الشيخ عبيد الله السندي، إلهام الرحمن في تفسير القرآن مخطوط،89.

[35] الرعد 14:13.

[36] الشيخ عبيد الله السندي، إلهام الرحمن في تفسير القرآن مخطوط،89.

[37] الرعد 14:13.

[38] الرعد 15:13.

[39] الشيخ عبيد الله السندي، إلهام الرحمن في تفسير القرآن مخطوط،90.

[40] الرعد 17:13.

[41] الشيخ عبيد الله السندي، إلهام الرحمن في تفسير القرآن مخطوط،91.

[42] الرعد:19:13.

[43] الشيخ عبيد الله السندي، إلهام الرحمن في تفسير القرآن مخطوط،91.

[44] الرعد 20:13.

[45] الرعد 21:13.

[46] الشيخ عبيد الله السندي، إلهام الرحمن في تفسير القرآن مخطوط،92.

[47] الرعد 25:13.

[48] الشيخ عبيد الله السندي، إلهام الرحمن في تفسير القرآن مخطوط،96.

[49] الرعد 30:13.

[50] الرعد 31:13.

[51] حدثنا يحيى، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، قال: قال عبد الله: إنما كان هذا، لأن قريشا لما استعصوا على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى: {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ. يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الدخان: 11] قال: فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له: يا رسول الله: استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت، قال: «لمضر؟ إنك لجريء» فاستسقى لهم فسقوا، فنزلت: {إِنَّكُمْ عَائِدُونَ} [الدخان: 15] فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله عز وجل: {يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ} [الدخان: 16] قال: يعني يوم بدر.

محمد بن إسماعيل الإمام البخاري، الصحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: يغشى الناس هذا عذاب أليم، (بيروت: دار طوق النجاة 1422ه) رقم الحديث:4821، 131/6.

[52] إنما الولاية بعد المئتين.

[53] هو أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله، وكان اسم عبد الله بعبور، وأسلم على يد علي أبي طالب رضي الله عنه، المروزي المعروف بالحافي، أحد رجال الطريقة رضي الله عنهم؛ كان من كبار الصالحين، وأعيان الأتقياء المتورعين وكان مولده سنة خمسين ومائة 150ه، وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة ست وعشرين 226ه رحمه الله تعالى.

أحمد بن محمد بن إبراهيم البرمكي الإربلي شمس الدين المتوفى: 681ه، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر) 274/1-275.

[54] سري بن المغلس السقطي، أبو الحسن: من كبار المتصوفة، بغدادي المولد والوفاة، وهو أول من تكلم في بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية، وكان إمام البغداديين وشيخهم في وقته، وهو خال الجنيد، وأستاذه توفي 253ه.

خير الدين بن محمود الزركلي المتوفى 1396ه، الأعلام، (بيروت: دار العلم للملايين2002م)، 82/3.

[55] هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم: صوفي، من العلماء بالدين. مولده ومنشأه ووفاته ببغداد، وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد. من كلامه: طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به، وله (رسائل - ط) منها ما كتبه إلى بعض إخوانه، ومنها ما هو في التوحيد والألوهية، والغناء، ومسائل أخرى. توفي 297 ه الموافق: 910م.

الزركلي، الأعلام،141/2.

[56] طيفور بن عيسى البسطامي، أبو يزيد، ويقال بايزيد: زاهد مشهور، له أخبار كثيرة، كان ابن عربي يسميه أبا يزيد الأكبر، نسبته إلى بسطام (بلدة بين خراسان والعراق) أصله منها، ووفاته فيها سنة 261.

الزركلي، الأعلام،235/3.

[57] هم أصحاب إمام الطريقة خواجه معين الدين حسن الچشتي وچشت قرية منسوبة إلى شيوخه.
محدث دہلوی، امام شاه ولی الله،شفاء العليل عكسى ترجمه القول الجميل (كراچی: ايچ ايم سعيد كمپنی،ادب منزل)، 63 ـ

[58] أحد الطرق الصوفية السنية، تأسست على يد شهاب الدين عمر السهروردي المتوفى سنة 632 هـ. مصادر الجزيرة نت: منارة السهروردي ببغداد مهددة بالسقوط نسخة محفوظة 05 فبراير 2012 على موقع واي باك مشين.

[59] (القادرية)هم من أصحاب إمام الطريقة الشيخ أبي محمد محي الدين عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه.
محدث دہلوی،شفاء العليل عكسى ترجمه القول الجميل47 ـ

[60] هم أصحاب إمام الطريقة خواجه بهاء الدين النقشبندي البخاري رضي الله تعالى عنه.
محدث دہلوی ،شفاء العليل عكسى ترجمه القول الجميل،75ـ

[61] الشيخ عبيد الله السندي، إلهام الرحمن في تفسير القرآن مخطوط،110.

[62] الرعد 32:13.

[63] الشيخ عبيد الله السندي، إلهام الرحمن في تفسير القرآن مخطوط،101.

[64] الرعد 33:13.

[65] الشيخ عبيد الله السندي، إلهام الرحمن في تفسير القرآن مخطوط،102.

[66] الرعد 41:13.

[67] الإمام شاه ولي الله الدهلوي، فتح الرحمان بترجمة القرآن، (ايران: سايت كتابخانه)،254.

[68] محدث دہلوی، امام شاه ولی الله، فيوض الحرمين مع اردو ترجمه سعادت كونين، (حيدر آباد ڈاكٹر عبد الجبار عابدلغاری ڈائريكٹر شاه ولی الله اكيڈمی2007ء)، 83ـ

[69] الرعد 42:13.

[70] الشيخ عبيد الله السندي، إلهام الرحمن في تفسير القرآن مخطوط،104.

[71] الرعد 13:43.

[72] وإليه أشار الإمام بقوله: والذي يظهر من استقراء كلام الصحابة والتابعين أنهم كانوا لا يستعملون "نزلت في كذا" لمجرد بيان الحادث الذي وقع في زمنه وكان سببا لنزول الآية بل ربما يذكرون بعض ما صدقت عليه الآية مما حدث في زمنه صلى الله أوحدث بعده، فيقولون "نزلت في كذا" ولا يلزم في هذه الصورة انطباق جميع القيود المذكورة في الآية بل يكفي انطباق أصل الحكم فحسب.
الإمام ولي الله الدهلوي، الفوز الكبير في أصول التفسير، تعريب وتعليق: الشيخ سعيد أحمد البالن بوري، (كراتشي: مكتبه البشرى 1433هـ-1202م، 52-53.

[73] هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، ثم الأنصاري، يكنى أبا يوسف، وهو من ولد يوسف بن يعقوب صلى الله عليهما، كان حليفا للأنصار. يقال كان حليفا للقواقلة من بني عوف بن الخزرج، وكان اسمه في الجاهلية الحصين، فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله، وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية سنة ثلاث وأربعين43هـ.

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي المتوفى 463هـ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، المحقق: علي محمد البجاوي، (بيروت: دار الجيل1412هـ - 1992م)، 921/3.

[74] الشيخ عبيد الله السندي، إلهام الرحمن في تفسير القرآن مخطوط،105.